المفاهيم البلاغية

المرحلة الأولى -- قسم اللغة العربية

إعداد

ا٠م٠د فاضل عبد الأمير شريف

(٢٠٢٢_٢٠٢٣)

نسخة جديدة

مفردات المادة

ـ نشأة التذوق البلاغي والنقدي عند العرب .

ـ البلاغة في اللغة والاصطلاح

٢ـ بلاغة الكلام

٣ـ البلاغة في القرآن الكريم

٤ ـ الفصاحة في اللغة والاصطلاح

٥ـ فصاحة الكلمة

٦ـ فصاحة الكلام

٧ـ فصاحة المتكلم

٨ ـ مؤثرات نشأة علم البلاغة

٩ـ أغراض دراسة العرب للبلاغة

١٠ـ المدارس البلاغية:

المدرسة الكلامية / المدرسة الادبية / الجمع بين المدرستين

١١ـ علوم البلاغة بين القديم والحديث

١٢ـ أقسام علوم البلاغة: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع

تقديم:

البلاغة من علوم اللغة العربية، وقد كان وما يزال السبيل المفضي الى فهم كتاب الله وكلام العرب، لذلك أولى القدماء هذا الفن عناية كبيرة ووضعوا دراسات كثيرة اتسمت بالأصالة والمنهج القويم.

نشأة التذوق البلاغي والنقدي عند العرب :

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه من مثل: (الرحمن* علم القرآن* خلق الانسان* علمه البيان)، ومثل: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا). ووصف الوليد بن المغيرة القرآن وقال: والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه المثمر، وإن أسفله لمغلق (٣). وكان أدبهم الذي خلّفوه يحمل في تضاعيفه ما يصور فصاحة منطقهم وكيف يتأتون للكلام حتى يبلغوا منه ما كانوا يريدون. والذي يعود الى أخبار النقد العربي في نشأته الاولى أو الى أخبار أسواق العرب الادبية يعرف الكثير من تلك الاقوال والاحكام.

<u>ويمكن أن يستدل الباحث على أن العرب عرفوا كثيراً من الأحكام النقدية قبل الإسلام بأمرين</u> :

<u>الأول: عقلي</u> لا يمكن إنكاره، وهو أنه لا يُصدق أن الشعر وصل إلى ما وصل إليه في ذلك العهد، وإن الخطابة بلغت ذروتها، وإن اللغة أخذت صورتها من غير أن يكون هناك عقل مدبر لكل ذلك، ومن غير أن تكون هناك أصول عامة تعارف عليها الشعراء والمتكلمون وساروا عليها فيما نظموا لو قالوا: ومهما تحدث الباحثون عن السليقة الصافية والذوق السليم ومهما وصفوها بالفطنة والذكاء. فإن الفعل لينكر أن يكون ما كان من غير ثقافة ودربة، وقواعد تضيء لهم الطريق وتفتح أمامهم سبل القول.

<u>الثاني: نقلي وهو ما أثر عنهم</u> وما جاء عن خطبائهم ووصف خطبهم، وقد كان الخطباء يعتزون ببيانهم ويفخرون بأنفسهم ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه(رثّ الهيئة) للذي رأى من دمامته وقصره وقلته، فقال النعمان : تسمع بالمعيدي لا أن تراه ، فقال:(أبيت اللعن، إن الرجال لا تكال بالقفزان) ولا توزن بالميزان وليست بمسوك يستقى بها، وإنما المرء بأصغريه بقلبه ولسانه، إن صال صال ،بجنان وإن قال قال ببيان (٣). وكان ضمرة خطيباً فارساً شاعراً شريفاً سيداً، وكان يحكم وينفر بالأسجاع .

واستدل الجاحظ من الفاظ **(العيي، و البكيء و الحصر، والمفحم و الخطل، والمسهب)** على أن العرب قبل الإسلام عرفوا كثيراً من عيوب البلاغة والخطابة وقال:(وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسمح، والخفيف والثقيل وكله ،عربي، وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا، فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا **العيي والبكي والحصر والمفحم والخطل والمسهب والمتشدق والمتفيهق والمهمار والثرثار والمكثار و الهمار؟ ولم نكروا الهجر والهذر، والهذيان**

والتخليط، وقالوا : تلقاعة وفلان يتلهيع في خطبته ، وقالوا فلان يخطىء في جوابه ويحيل في كلامه ويناقض في خبره ؟ ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض البعض الآخر بهذه الاسماء (١)

ووصفوا كلامهم في أشعارهم فجعلوها كبرود العصب، وكالحلل والمعاطف والديباج والوشي واشباه ذلك (٣) ووصفوا شعراءهم وأضفوا عليهم القاباً (كالمهلهل والمرقش والمثقب والمنخل والمتنقل والأفوه والنابغة، وهذه الأوصاف تتصل بأحكامهم النقدية وذوقهم الذي ميزوا به بين شاعر و شاعر.

وكان بعض الشعراء يعنون بأشعارهم وينقونها قبل أن يذيعوها بين الناس واشتهر زهير بن أبي سلمى بالحوليات وتبعه في ذلك الحطيئة وغيره ممن اهتموا بتنقيح الشعر وتجويده وكان الحطيئة يقول: (خير الشعر الحولي المحكك) ، وقال الأصمعي : ((زهير بن أبي سلمى والحطيئة واشباههما عبيد الشعر لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين)). وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات، والمحكمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذاً وشاعراً مفلقاً.

إن وقوف الشعراء، عند قصائدهم لينقحوها ويعيدوا النظر فيها يدل على الروح النقدية التي كان الشاعر نفسه يمارسها قبل أن ينقده السامعون ومما يتصل بالنقد قبل الإسلام وما كان شائعاً من أحكام يتناقلها الشعراء وما كان يدور في أسواق العرب وفي كتب الأدب والنقد كثير منها يتصل بالمعاني واللغة والقافية.

فمن النوع الأول - المتصل بالمعاني - ما رُوي عن حكومة أم جنيب الطائية بين أمرئ القيس وعلقمة الفعل، فقد فضلت علقمة حينما قال في وصف فرسه:

فادركهن ثانياً من عنانه ــ يمر كمر الرائح المتحلّب

على زوجها أمرئ القيس الذي قال :

فللزجر الهوب والساق درّه ــ وللسوط منه وقع اخرج مهذب

وقد سأل امرؤ القيس أم جندب بم فضلته علي؟ فقالت فرس علقمة اجود من فرسك. قال وبماذا؟ قالت: إنك زجرت وحركت ساقيك وضربت بسوطك، أما علقمة فقد أدرك فرسه ثانياً من عنانه لم يضربه بسوط ولم يتعبه (١)

وما جرى بين النابغة وحسان بن ثابت ،والخنساء، فقد روي أنهم كانوا يضربون للنابغة قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتاتيه الشعراء وتعرض عليه أشعارها وكان أول من أنشده ذات يوم الأعشى قال قصيدته التي مطلعها: **ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي**

ثم انشده حسان بن ثابت :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ــ وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق ــ فاكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما

فقال النابغة أنت شاعر ولكنك اقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن أنجبك (١) .

وانشدته الخنساء في هذا المجلس قصيدتها.

قذى بعينيك أم بالعين عوّار ــ أم اقفرت مذ خلتْ من أهلها الدار

فقال لها النابغة: لا والله لولا أن سبقك أبو بصير، أنشدني آنفاً لقلت أنك أشعر الجن والإنس فقال حسان (والله لأنا اشعر منك ومن أبيك وجدك).. فقبض النابغة على يده ثم قال: يا ابن أخي، إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي : **فإنك كالليل الذي هو مدركي ــ وان خلت إن المنتأى عنك واسع.**

ثم قال للخنساء أنشديه، فأنشدته فقال والله ما رأيت أنثى أشعر منك. فقالت الخنساء والله ولا رجلاً .

(٢) ومما يتصل باللغة : كلمة الصيعرية في بيت المسيب بن علس.

وقد اتناسى الهم عند ادكاره ــ بناج عليه للصيعرية مكدم)

الناجي : الجمل، الصيعرية : سم في عنق الناقة ، المكدم : الغليظ أو الصلب .

فلما سمع طرفة هذا البيت قال استنوق الجمل ، لأن(الصيعرية) سمة في عنق الناقة لا للبعير (١).

ومما يتعلق بالقوافي ما ذكروه عن النابغة، فقد قالوا انهم لم يُقر أحد من شعراء الطبقة الأولى إلا هو في قوله:

امن آل مية رائح أو مغتدي ـ عجلان ذا زاد وغيُر مزودِ

زعم البوارج أن رحلتنا غداً ــ وبذاك خبرنا الغراب الأسودُ

فقدم المدينة فعيب عليه ولم يأبه وجعلوا يخبرونه وهو لا يفهم ما يريدون وقال عمرو بن العلاء: ((فحلان من الشعراء كانا يقويان النابغة وبشر بن أبي حازم، فاما النابغة فدخل يثرب فَغْني بشعره ففطن فلم يعد للإقواء، وأما بشر بن أبي خازم فقال له اخوه سوادة إنك تُقْوّي ،قال : وما الإقواء ؟ قال قولك القوافي ، جذامُ ، وشآمِ بحركات مختلفة ..) .

وذكر أبو هلال العسكري أن القدماء أشاروا إلى الفصل والوصل في الكلام قال: (وكان أكثم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه افصلوا بين كل معنى منقض، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض، وكان الحارث ابن أبي شعر الغساني يقول لكاتبه المرقش إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما انت فيه فافصل بينه وبين تبيعته من الألفاظ، فإنك إذا حذفت الفاظك بغير ما يحسن أن تحذف به نفرت القلوب عن وعيها وملته الاسماع، واستثقلته الرواة).

وشك بعض الباحثين في هذه الروايات ، ولكننا مع هذا الشك نقرر أن هذه الروايات تعكس جانباً من فهم العرب للنقد في مرحلة التنوين الأولى، وليس بعيداً أن تصدر مثل هذه الأحكام قبل الإسلام بعدما رأينا كثيراً من الدلائل التي تؤيد ما ذهبنا إليه. يضاف إلى ذلك أن هذه الروايات ليس فيها التعليل القائم على النظرة العلمية لكي نذكرها وإنما هي أحكام عابرة أطلقها الشعراء والمحكمون معتمدين على

الذوق القطري الذي عرف به العرب وكان شعراء اليونان بعد أن انتهى عصر الملاحم وازدهر الشعر الغنائي في القرن السادس قبل الميلاد يصدرون بعض الأحكام التي تعبر عن رأي ذاتي أبعد ما يكون عن القاعدة العلمية ومعنى ذلك أن الشعراء شاركوا في حركة النقد القديم، فلم لا ينطبق ذلك على العرب وهم أهل علم ودراية وذوق ورواية، ولهم خطب رائعة وشعر بديع ؟

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الإسلامي راينا إيمان العربي بالقرآن الكريم واعتناقه الإسلام كان حكماً نقدياً أدركه بذوقه السليم وفطرته الصافية، ورأينا الرسول الكريم محمداً يعنى عناية عظيمة بأحاديثه وخطبه، وقد أثر عنه أنه كان يقول: (لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل لقست نفسي كراهية أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه (٣). وكان يستمع إلى الشعر ويقول: إن من البيان لسحراً . وكان الخلفاء الراشدون والصحابة يستمعون إلى الشعر ويبدون رأيهم فيه .

وإذا ما نظرنا إلى العصر الأموي رأينا الحياة الأدبية تزدهر. وكان الخلفاء يعقدون المجالس ويستمعون إلى الشعراء ويعلقون على بعض ما يسمعونه، ومن ذلك أن ابن قيس الرقبات أنشد عبد الملك بن مروان قصيدته التي يقول فيها:

يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

فلما سمع الملك ذلك غضب وقال له: قد قلت في مصعب بن الزبير

انما مصعب شهاب من الله ــ تجلت عن وجهه الظلماء

فاعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة)) .

وكان المؤدبون يقومون بدور عظيم في تعليم اللغة وأدبها ورسم القواعد العامة التي تفضي إلى اتقان اللغة وتذوقها. وكان هؤلاء المؤدبون يخوضون في موضوعات كثيرة وليس من شك في أن الفصاحة والبلاغة من تلك الموضوعات .

. **وشهد القرن الثاني للهجرة** حركة أدبية واسعة، وكانت الحواضر تزخر بالعلماء، وبلغت حركة التدوين والتأليف ذروتها في العصر العباسي الأول وظهرت كتب التفسير واللغة والأدب والتاريخ تحمل تراثاً ضخماً حافلاً بكل طريف، وكانت البلاغة أحد العلوم التي اهتم بها العرب منذ عهد مبكر، وقد دفعتهم إلى العناية بها اهداف ومؤثرات كثيرة .

ولما كانت البلاغة شديدة الصلة بموضوع إعجاز القرآن فقد تناولتها كتب الاعجاز خاصة والكتب القرآنية عامة، ونظراً الى صلتها باللغة والادب والنقد فقليل أن يخلو من الاشارة الى موضوعاتها كتاب من كتب اللغة أو الادب أو النقد.

البلاغة في اللغة والاصطلاح:

كلمة البلاغة من الكلمات التي شاع استعمالها في كتب الأدب، وكانت هي والفصاحة تستعملان معاً، أو تستعمل الواحدة في موضع الاخرى.

البلاغة في اللغة: الانتهاء والوصول، وفي لسان العرب: (بلغ الشيء يبلغه بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى)، والابلاغ: الإيصال، بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه.

واشار ابن منظور الى المعنى الاصطلاحي، فقال: البلاغة الفصاحة. والبلْغ، البليغ من الرجال، ورجل بليغ: حسن الكلام فصيحه. والجمع بلغاء. وقد بلغ بلاغة: صار بليغاً.

وفي الاصطلاح البلاغي تختلف باختلاف موصوفها، وموصوفها إما الكلام وإما المتكلم، يقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ، ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال: هذه كلمة بليغة؛ لان الكلمة المفردة لا تكون معنى كاملاً يمكن تبليغه، فلا توصف بالبلاغة.

بلاغة الكلام: وبلاغة الكلام **مطابقته لمقتضى الحال التي يورد فيها مع فصاحة ألفاظه، والحال هو المقام الذي يدعو المتكلم الى تأليف الكلام. ومقتضى الحال (الاعتبار المناسب)**، كما قد يسمى **الخصوصية** وهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة. وسُميت البلاغة (بلاغة)؛ لأنها **تنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه.**

وكلما كان الكلام أكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات كان أبلغ وأوفى، وكلما كان العكس كان أقل مرتبة في البلاغة؛ لأن الالفاظ إذا ركبت لإفادة المعاني حصل لها صور مختلفة عديدة.

لذلك كانت المرتبة العليا لكلام الله تعالى المعجز الذي عجز البشر عن أن يأتوا بأقصر سورة من مثله ثم يليه في المرتبة كلام رسوله الكريم (ص)) الذي أوتي جوامع الكلم، ثم كلام البلغاء من الأئمة والصحابة.

البلاغة في القرآن الكريم

وقد جاءت لفظة (بليغ) في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة النساء (٦٣): (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً). وذهب الراغب الاصفهاني الى تفسير البلاغة على وجهين:

الاول: **أن يكون بذاته بليغاً**، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف: **صواباً في موضوع لغته، وطبقاً للمعنى المقصود، وصدقاً في نفسه.**

الثاني: أن يكون بليغاً باعتبار القائل والمقول له، أي أن يقبله المقول له، كما هو عند القائل.

وذهب الزمخشري في تفسير هذه الآية الى تأثيرها النفسي، فقال: (قل لهم قولاً بليغاً مؤثراً في قولهم يغتمون به اغتماماً ويستشعرون من الخوف استشعاراً).

الفصاحة في اللغة والاصطلاح:

للفصاحة لغة اكثر من معنى وتلتقي هذه المعاني في دلالتها على (الظهور والبيان)، يقال: أفصح فلان عما في نفسه إذا اعرب عنه، وافصح الصبي في منطقه وفصح فيه إذا فهم عنه عندما يشرع في التكلم، وافصح الأعجمي، وفصُح إذا أنطق لسانه بالعربية، وفي القرآن الكريم قوله تعالى حكاية عن موسى (ع): (وأخي هارون هو أفصحُ مني لساناً) أي وأبين مني قولاً، وفي الحديث النبوي الشريف: (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش)، ويقول أحدنا للآخر، أفصح إن كنتَ صادقاً وبيّنْاً وأظهر، والمثل المشهور: أفصح الصبحُ لذي عينين، أي ظهر، كما يقال: هذا يوم مفصح، أي جلي لا غيم فيه.

أما الفصاحة في اصطلاح البلاغيين، فإن معناها يختلف باختلاف موصوفها، وموصوفها يمكن أن يكون الكلمة، ويمكن أن يكون الكلام ويمكن أن يكون المتكلم.

يقال: هذه كلمة فصيحة، إشارة الى كلمة معينة كلفظة أسد، ويقال: هذا كلام فصيح، إشارة الى مركب معين كقولنا: الشمس طالعة، والسماء صافية، ثم يقال: هذا متكلم فصيح، إشارة الى شخص معين.

فصاحة الكلمة:

وهي تتحقق بخلوها من ثلاثة عيوب:

(١) تنافر الحروف.

(٢) مخالفة القياس اللغوي.

(٣) الغرابة.

ووجه حصر فصاحة الكلمة عند القزويني ان كل كلمة لها مادة هي حروفها وصورة هي صيغتها، ودلالة هي معناها. فعيبها **إما** في مادتها وهو التنافر، **وإما** في صيغتها وهو مخالفة الوضع، **وإما** في دلالتها على معناها وهو الغرابة.

١ـ تنافر الحروف:

إن سلامة الكلمة من تنافر الحروف شرط من شروط الفصاحة، ذلك أن تجاور الحروف المتنافرة يؤدي الى تعثر اللسان في النطق بها، وهذا يقلل من درجة فصاحتها، كما روي أن إعرابياً سُئل عن ناقته فقال: (تركتها ترعى الهعخع) (الهعخع: اسم لنوع من النبات)، إذ جمعت القبح من اطرافه؛ لأن جميع حروفها حلقية وحرف حلقي واحد يبعث على الثقل، فكيف إذا اجتمع الهاء والعين والخاء.

ومنه ما دون ذلك كلفظة (مستشزر) في قول امرئ القيس:

غدائرها <u>مستشزرات</u> الى العلى تضلُ المدارى في مُثنًى ومرسلِ

الغدائر والغديرة: الذؤابة من الشعر، مستشزرات: مرفوعات وأصلها من الشزر، الفتل على غير جهة لكثرتها، المدارى: الامشاط، المثنى: الشعر الذي فتل بعضه على بعض. المرسل: وفور شعرها وكثافته.

وان كانت اخف من (الهعخع) ثقلاً لتوسط (الشين) التي هي من الحروف المهموسة الشديدة. ويرى النقاد أن امرأُ القيس لو قال (مستشرف) لزال الثقل.

ومما ترويه كتب اللغة من التراكيب: جادلته فاجرنفش واخرنطم (اجرنفش: غضب، اخرنطم: تكبر).

٢ـ مخالفة القياس اللغوي :

هو أن تأتي الكلمة على غير القانون الصرفي المتبع في لغة العرب ، كقول الراجز:

الحمد لله العلي الأجلل الواهب الفضل الكريم المجزلِ

فإن القياس (الأجلّ) بالإدغام. ولم يوضح سبب مخالفته القياس. ومثله قول الشاعر :

مهلاً أعاذل قد جربت من خلقي ــ أني أجود للأقوام وإن ضننوا

فكلمة (ضننوا) بمعنى (بخلوا) ، غير فصيحة لأنها مخالفة لما ورد عن الوضع والقياس الصرفي .

ومن أمثلة ذلك قولهم: فلان مذهول العقل، والصواب: ذاهل، ويوم مهول: والصواب: يوم هائل، وأمر هائل، ويقولون: فلان مخمول، والصواب: خامل، والخامل، الخفي الذي لا ذكر له.

٣ـ الغرابة:

وهي أن تكون الكلمة حوشية أو غير ظاهرة الدلالة على معناها فتحتاج في معرفتها الى البحث في كتب اللغة عن معانيها، كما في قول العجاج:

ومقلة وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرسناً مسرجاً

فالفاحم أراد به الشعر الاسود، (والمرسن) الانف الذي يشد بالرسن، ثم استعير لأنف الانسان، أما مسرجاً فهي اللفظة الغريبة هنا، وقد اختلف في تخريجها: فقيل: هي من قولهم للسيوف: سريجية؛ نسبة الى قين اسمه سريج. يقصد الشاعر ان أنف محبوبته في الاستواء والدقة كالسيف السريجي، وقيل: من السراج، يريد أنه في البريق كالسراج، وهذا يقرب من قولهم: سرج وجهه اي: (حسُن) وسرح الله وجهه، أي: بهجه وحسنه. ومن الالفاظ التي تحمل كراهة في السمع، وينبو الذوق عن سماعها، كقول المتنبي:

مبارك الاسمِ أغرّ اللقب ـ كريمُ الجرشى شريف النسب

(كريم الجرشى) كريم النفس. فإنك تجد في الجرشى تأليفاً يكرهه السمع ،وينبو عنه ، وأين كلمة النفس من هذه اللفظة الثقيلة ؟ وردّ السيوطي ذلك ورأى أن الكراهة لكون اللفظ وحشياً داخلاً في الغرابة.

ومما حسن فيه قول ابن المعتز:

وظلت تدير الراح أيدي جآذر عناق دنانير الوجوه ملاح

ومما جاء فيه حسناً جميلا قول الخالدي يصف غلاماً له:

ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على أن يزيد مجتهد

وصيرفي القريض وزان دينار المعاني الدقاق منتقد

فصاحة الكلام:

يكون الكلام فصيحاً إذا سلم من: تنافر الكلمات، وضعف التأليف، والتعقيد لفظياً كان أم معنوياً. مع وجوب أن يتركب الكلام من مفردات فصيحة.

١ـ تنافر الكلمات:

هي صفة تتعرض لها الكلمات، او التراكيب فتوجب ثقلها واضطراب اللسان عند النطق بها، وذلك لأسباب، منها:

أـ تكرار حرف أو حرفين من كلمة في الشعر أو النثر، وذلك في قول يروى للجاحظ:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرِ وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

وقد قيل: إن هذا البيت من الصعوبة بمكان بحيث لا يستطيع أحد انشاده لثقله على اللسان. وقد تكون الكلمة في هذا النوع من الابيات سهلة النطق إذا أخذت وحدها ونطق بها مستقلة.

ومنه أيضاً قول الأعشى:

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌ شلولٌ شلشلٌ شولُ

سبب الثقل: تكرار حرفي (الشين) و(اللام) ومجيئهما بكثرة في شطر واحد.

ب ـ ايراد أفعال يتبع بعضها بعضاً من دون عطف، ولو اختلف بين الماضي والمستقبل كقول (الارجاني) يصف الشمع، وكأنه يقول بلسانه (أي الشمع): انه أَلِفَ العسل وهو أخوه الذي تربى معهُ، لكن النار فرقت بينه وبينه، وإنه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضاً من ألم الفراق:

بالنار فرقت الحوادثُ بيننا وبها نذرت أعودُ أقتلُ روحي

ومنه قول أبي تمام : **كريم متى أمدحه أمدحه والورى ــ معي وإذا ما لمته لمته وحدي**

وسبب التنافر في أمدحه ما بين الحاء والهاء من تنافر ولأنهما حلقيان ، وتكرار الكلمة في الشرط والجزاء.

٢ـ ضعف التأليف:

هو خروج الكلام عن مقتضى قواعد اللغة المطردة، ومخالفته القوانين النحوية الجارية، مثل: رجوع الضمير الى متأخر لفظاً ورتبة، كقول حسان بن ثابت الانصاري:

ولو أن مجداً أخلدَ الدهر واحداً من الناس أبقى مجدهُ الدهر مطعماً

فالضمير في (مجده) يعود الى قوله: (مطعماً) وهو متأخر في اللفظ كما هو واضح في البيت، وفي الرتبة؛ لأنه مفعول به، ورتبة المفعول متأخرة عن رتبة الفاعل.

ومنه ايضاً حذف النون من الفعل (يكن) في الجزم حين يليها ساكن، كقول الشاعر:

لم يكُ الحقُ سوى أن هاجُهُ رسمُ دارٍ قد تعفت بالمَررِ

هاج: ثار، رسم دار: أثرها، تعفت: زال أثرها، المرر: اسم موضع

٣ـ التعقيد:

هو ان يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على المعنى المقصود وذلك لسببين:

أحدهما: تقديم الكلمات أو تأخيرها عن مواضعها الاصلية، ويسمى التعقيد اللفظي.

والآخر: خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد منه، ويسمى التعقيد المعنوي.

التعقيد اللفظي:

وهو وجوب أن يسلم التركيب من التعقيد اللفظي، بمعنى أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد بسبب تأخير أو تقديم الكلمات عن أماكنها الأصلية، أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض. مثل: **ما قرأ إلا واحداً سليم مع كتاباً أخيه**. فالكلام غير فصيح لتعقيده الشديد، إذ إن أصله: **(ما قرأ سليم مع أخيه إلاَ كتاباً واحداً)**. ففي هذه الحال قدمت الصفة على الموصوف، وفصل بين المتلازمين، وهما أداة الاستثناء والمستثنى، والمضاف إليه.

ومثله قول الشاعر: **فأصبحتْ بعد خط بهجتها كأنّ قفراً رسومها قلما**

يصف الشاعر داراً بالية. وأصل الكلام: **فأصبحت بعد بهجتها قفراً- كأنّ قلماً خط رسومها** .

ومثله قول الفرزدق في وصف الذئب :

تعال فإن عاهدتني لا تخونني ـ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

يريد أن يقول **(نكن يا ذئب مثل من يصطحبان)**. ففصل بين الموصول والصلة وهما (من يصطحبان)بأجنبي وهو قوله (يا ذئب) فتعقد اللفظ بعض التعقيد .

التعقيد المعنوي:

وهو أن يعمد المتكلم إلى التعبير عن المعنى الذي يريد فيستعمل فيه كلمات ليست بمعانيها الحقيقية، ولا تؤدي الى المعنى المراد، فيختل التعبير، ويلتبس الأمر على السامع ذلك لأنه أساء اختيار الكلمات التي تؤدي المعنى الذي يريده، كأن يقول: **نشر الحاكم ألسنته في المدينة**.

وفي هذه الحال يريد (جواسيسه)، وكان من الصواب استعماله نشر عيونه، ففي ذلك تعقيد معنوي لا يخدم استعماله فصاحة الكلام ولا المتكلم.

ومن ذلك أيضاً قول العباس بن الاحنف:

سأطلبُ بعدَ الدارِ عنكم لتقربوا وتسكبُ عينايَ الدموع لتجمُدا

الشاهد هو قول الشاعر(**لتجمدا**) فإنه لم يوفق في إداء المعنى الذي أراده من هذا اللفظ على وجه صحيح ، ذلك أنه أراد أن يكنى عما قصده بكنايتين ، أصاب في احداهما ، وأخطأ في الأخرى . وتوضيح ذلك هو أنه كنى بسكب الدموع عما يوجبه فراق الأحبة من الحزن والكمد ، وهذا صواب ، لسرعة فهم الحزن من سكب الدموع ،ثم كنى عما يوجبه اجتماع شمله بأحبته من السرور والابتهاج . نقول كنى عن ذلك بجمود عينيه وهذا خطأ . فجمود العينين إنما هو جفافهما من الدمع عند الحاجة اليه . أي أن جمودهما إنما هو بخلهما بالدمع وقت الحاجة اليه ،لا ما أراده من السرور.

فصاحة المتكلم

هي ملكة يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح. قيل: (ملكة) ولم يقل صفة، إشعاراً بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة في نفس الفصيح حتى أن المعبر عن مقصوده بلفظ فصيح لا يعدّ فصيحاً إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير ملازمة له وراسخة فيه، وقيل: (يقتدر بها) ولم يقل: يعبر بها ليشمل التعريف الفصاحة بالقوة، وقيل: (بلفظ فصيح) ليعم المفرد والمركب.

<u>الإسلوب</u>

احتفى الدرس العربي منذ القرن الثاني الهجري بدراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني التي استدعت ـ بالضرورة ـ ممن تعرضوا للتفسير أن يتفهموا مدلول لفظة "أسلوب" عند البحث الموازن بين أسلوب القرآن الكريم وغيره من أساليب الكلام العربي، متخذين ذلك وسيلة لإثبات ظاهرة الإعجاز للقرآن الكريم.

_الأسلوب لغة (عند أصحاب المعاجم) ورد في معجم "لسان العرب (لابن منظور) " الأسلوب هو الطّريقة، والوجه ،و المذهب، كما يقال للسطر من النخيل الأسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب ويجمع على (أساليب)، وقد سلك أسلوبه: طريقته وكلامه على أساليب حسنة، والأسلوب بالضم "الفن"، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه)) .

الأسلوب عند البلاغيين :

عبد القاهر الجرجاني (ـ ٤٧١هـ)؛ نجده يساوي بين الأسلوب والنظم، لأن الأسلوب عنده لا ينفصل عن رؤيته للنظم، بل نجده يماثل بينهما من حيث أنهما يشكلان تنوعاً لغوياً خاصاً بكل مبدع يصدر عن وعي واختيار، ومن ثم يذهب عبد القاهر إلى **(أن الأسلوب ضرب من النظم وطريقة فيه).**

ومن مفاهيم الأسلوب عند البلاغيين : **طريقة اختيار الالفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الايضاح والتأثير ، فأسلوب القران هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار الفاظه .**

وانواع الأساليب ثلاثة :

١ـ الأسلوب الأدبي ٢ـ الأسلوب العلمي ٣ـ الأسلوب الخطابي

الأسلوب الأدبي

هو أسلوبٌ تعبيريٌّ فنيٌّ، . هدفه التعبير عما يجول في نفس الكاتب من أفكار وعواطف، والتأثير في نفوس الآخرين من خلال تصوير دقيق يعتمد الخيال والفنون البديعية من استعارات وكنايات وتشبيهات بليغة . وتُكتَبُ به الأجناس الأدبية المختلفة، من مقالة وخطبة ورسالة وقصيدة وقصة ومسرحية وكلام العرب من شعر ونثر غني بهذا الأسلوب .

٢ـ الأسلوب العلمي :

هو الاسلوب الذي يشرح الحقائق العلمية الغامضة بألفاظ واضحة جميلة وسهلة تقرب المعنى وتقرره من الإفهام دون استعمال المجاز أو خيال أو محسنات بديعية الاّ ما جاء عفوا .

ومن أهم مميزاته دقة المعلومات والتسلسل المنطقي في عرضها، وسرعة الوصول إلى عقل القارئ، إذ إن غايته مخاطبة العقل، فضلاً عن استخدام الإحصائيات والأرقام والمصطلحات العلمية وتُكْتَبُ به البُحوثُ والمقالات العلمية بهدف نشر المعارف وإنارة العقول .

مثال على الأسلوب العلمي

الحاسوب : (جهاز الكتروني يستخدم لإدخال البيانات وخزنها ، ومن ثمّ إجراء العمليات الحسابية والمنطقية عليها ،لاستخراج النتائج عن وحدات الاخراج ، ومن خصائصه السرعة ، والدقة والمواصلة وعدم الملل وامتلاك الذاكرة لخزن واسترجاع كميات كبيرة من المعلومات) .

يتضح مما سبق أن هناك فارقاً من المستحيل تجاهله بين الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي، فأيُّ قارئ أو كاتب يتحلَّى بقدرٍ قليل من مسلّمات البلاغة العربية، كالخبر والإنشاء ومراعاة مقتضى الحال، وما إلى ذلك، يستطيع أن يفرق من فوره بين الأسلوبين الأدبي والعلمي، فيستخدم عند كتابته في موضوعات أدبية خصائص الأسلوب الأدبي وسماته، ويستخدم عند كتابته في موضوعات علمية أسلوب الكتابة العلمية وخصائصه.

وربما نستطيع أن نطبق ذلك من خلال كتابتنا لمثالين، أحدهما عن المطر من وجهة نظر علمية (تشكُّله، سقوطه، قياسه، فوائده...)، والآخر عن المطر من وجهة نظر أدبية (تشبيه الدموع بالمطر، وصف قطراته وتساقطه، الحالات النفسية المصاحبة له...). وهذا ينطبق على كثير من الأشياء في حياتنا.

الاسلوب الخطابي

هو الاسلوب الذي تبرز فيه قوة المعاني والألفاظ وقوة الحجة والدليل بطريقة تثير عزائم السامعين وتستنهض هممهم من خلال استعمال اسلوب التكرار والمترادفات وضرب الأمثال واختيار المفردات ذات الرنين العالي بعيداً عن الخيال وكثرة المجازات والكنايات . ومن مميزاته تعاقبُ ضروبُ التعبيرِ، من إخبارٍ إلى استفهامٍ إلى تعجبٍ إلى استنكار الى أساليب القسم، فضلاً عن ضربِ الأمثالِ

وهنا تَبْرُزُ قوةُ المعاني والألفاظِ، وقوةُ العقلِ الخصيبِ، وهنا يتحدثُ الخطيب إلى إرادةِ سامعيهِ، ولجمالِ هذا الأُسلوبِ ووضوحهِ شأْنٌ كبيرٌ في تأْثيره ووصولهِ إلى قرارةِ النفوسِ، ومما يزيدُ في تأْثير هذا الأُسلوبِ منزلةُ الخطيبِ في نفوسِ سامعيهِ، وقوةُ عارضتِه، وسطوعُ حجَّتِهِ، ونبَراتُ صوتهِ، وحسنُ إلقائهِ، ومُحْكَم إشاراتهِ.

مثال على الأسلوبِ الخطابيِّ

خطبة الجهاد لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام:

(أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَ نَهَاراً وَ سِرّاً وَإِعْلَاناً وَقُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَ اللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ وَ مُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ ...)

مؤثرات نشأة علم البلاغة

أثرت في نشأة البلاغة وتطورها عند العرب عوامل، اهمها:

١ـ القرآن الكريم:

كان القرآن الكريم ذا أثر عظيم في البلاغة، وقد شغل الناس به وأخذوا يتدارسونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه وما فيه من فنون، وكانت لمسألة إعجاز القرآن أثر كبير في تطور البلاغة العربية.

٢ـ المفسرون:

ويتصل بالقرآن وأثره المفسرون، وهم الذين ينظرون في كتاب الله تعالى ويفسرون الفاظه ويوضّحون معانيه ويبينون مقاصده وأهدافه ويشرحون ما فيه من قيم رفيعة ونظرات عميقة، وحتى يستطيع المفسر أن يقوم بهذا كله لا بد من أن يطلع على علوم اللغة العربية. والبلاغة إحدى الوسائل

المهمة التي تكشف أسرار الاعجاز وتوجه الآيات التي لا يمكن حملها على الظاهر، وكتب التفسير كلها تتصل بالبلاغة، ولعل أهم تفسير عني بالبلاغة (الكشاف) للزمخشري (ت٥٢٨هـ).

٣ـ اللغويون والنحاة:

ومن الذين أثروا في نشأة البلاغة وتطورها اللغويون والنحاة، إذ ظل دورهم مشهوداً منذ عهد التدوين واستطاعوا أن يسيطروا على مناهج الدرس ومن النحاة الذين كانت كتبهم مادة خصبة للبلاغيين، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) والفراء (ت٢٠٧هـ) صاحب كتاب معاني القرآن، وابو العباس الملقب بثعلب (ت٢٩١هـ) صاحب كتاب قواعد الشعر، وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ) صاحب كتابي دلائل الاعجاز واسرار البلاغة. وقد كانت لكتب هؤلاء النحاة أثر في البلاغة لأنها عُنيت بالأساليب العربية وذكرت كثيراً من المصطلحات التي دخلت في كتب البلاغة وأصبحت مصطلحات علمية.

٤ـ الشعراء والكتّاب:

أثر الشعراء في البلاغة واضح بيّنٌ، إذ كانوا يعنون بالقول ويجودون أشعارهم وينقحونها منذ عهدهم الاول، ودلت الملاحظات البيانية على أنهم كانوا اصحاب ذوق ومعرفة بجيد الشعر ورديئة، وكان ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) الشاعر العباسي أكثر الشعراء تأثيراً في البلاغة، إذ وضع كتابه (البديع) الذي تحدث فيه عن خمسة فنون للبديع. ومن الشعراء أيضاً الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) صاحب كتاب (تلخيص البيان في مجازات القرآن)، وابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) مؤلف كتاب (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، وابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) مؤلف سر الفصاحة.

واخذت الكتابة مكانة مرموقة منذ العصر الاموي، وكان عبد الحميد الكاتب (ت١٣٢هـ) ممن انتهت اليهم رياسة الكتابة في ذلك العهد، ومن اكثر الكتاب تأثيراً في البلاغة أبو عثمان عمرو بن الجاحظ (ت٢٥٥هـ) بما ذكره في كتبه ولا سيما في (البيان والتبيين) و(الحيوان) من فنون بلاغية وأساليب بليغة، وأصبحت دراسته لمسائلها أساس البلاغيين. ومن الكتّاب الذين أثـروا في البـلاغة قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) مؤلف كتاب نقد الشعر، وأبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) مؤلف كتاب (الصناعتين) أي صناعة الشعر والنثر. وضياء الدين ابن الاثير (ت٦٣٧هـ) صاحب كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر).

٥ـ المتكلمون:

أثّر المتكلمون في نشأة البلاغة وتطورها، والمتكلمون أصحاب الصناعة الكلامية في بحثهم للقرآن الكريم وتدليلهم على اعجازه واستنباط العقائد منه والدفاع دونه، وكان المعتزلة أظهر فرقة ألّفت في البيان وفن القول، ولعل صحيفة بشر بن المعتمر (ت٢١٠هـ) من أقدم الآثار في ذلك، وتحدث فيها عن فن القول، ومن المتكلمين الذين شاركوا في فن البلاغة واصل بن عطاء (ت١٣١هـ)، وسهل بن هارون (ت١٧٣هـ)، والجاحظ الاديب المعتزلي، وقد طبع هؤلاء وغيرهم البلاغة بطابع عقلي يعتمد على الاستدلال والدقة في التحديد والتقسيم.

أغراض دراسة العرب للبلاغة

تضافرت (تآزرت) اسباب وأهداف كثيرة دفعت العرب الى الخوض في الدراسات البلاغية، أهمها:

١ـ الغرض الديني:

وهو خدمة القرآن الكريم الذي كان معجزة تحدي الانس والجن، ولكي يبرهنوا على إعجازه ويفهموا آياته واسلوبه ليستنبطوا الاحكام منه اتجهوا الى البلاغة باحثين في فنونها وموضحين أقسامها لتكون لهم عوناً على فهم القرآن. وكان هذا الغرض من أهم الاهداف التي دفعتهم الى البحث والتأليف.

٢ـ الغرض التعليمي:

وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأمم شتى، وأدى ذلك الاتصال الى فساد اللغة ودخول اللحن فيها، فضلاً عن أن كثيراً من المسلمين كانوا يحتاجون الى تعلم اللغة العربية وبلاغتها ليفهموا القرآن الكريم، ولا يتم ذلك الا بمعرفة ألفاظها وتراكيبها ومعانيها وأساليبها.

٣ـ الغرض النقدي:

وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل، والبلاغة تعين الناقد؛ لأنها تقدم له الآلة التي تعينه على الفهم والحكم، ولذلك نجد القدماء يعنون عناية كبيرة بها ويؤلفون الكتب فيها. ويتصل بهذا الغرض رواية الأدب ومعرفة الجيد الذي يروى والرديء الذي ينبغي أن يطرح.

المدارس البلاغية:

كانت العوامل المؤثرة في البلاغة كثيرة، منها الادبية ومنها الكلامية، وقد أدى هذا الاختلاف في المؤثرات الى أن تتجه البلاغة اتجاهين أطلق عليهما اسم المدرسة الكلامية، والمدرسة الأدبية.

١ـ المدرسة الكلامية:

كان للفلسفة وعلم الكلام أثر في الفكر العربي الاسلامي، وكان للبلاغة نصيب عظيم من ذلك الأثر، وتوثقت الصلة منذ عهد مبكر بينها وبين المنطق والفلسفة، وأخذت هذه الصلة تزداد قرناً بعد قرن، وقد انعكس ذلك على الدرس البلاغي، فكانت المدرسة الكلامية التي اهتمت بالمصطلحات البلاغية. وأهم خصائصها: **١ـ التحديد الدقيق والتقسيم العقلي. ٢ـ جعل التعريف جامعاً مانعاً.**

٣ـ استعمال اساليب المتكلمين في بحث الموضوعات وحصرها.

٤ـ الإكثار من الالفاظ الفلسفية المنطقية.

وقد ساق البلاغيون كثيراً من المقولات، وأدخلوا فيها بعض مسائل الفلسفة الطبيعية والإلهية والخلقية كالكلام في الالوان والطعام والروائح والحواس الانسانية ومقرها، والوهم والخيال، والاسباب والمسببات والحس المشترك، وادخلوا فيها من الالفاظ الفلسفية والكلامية الشيء الكثير مما لا صلة له بالبحث البلاغي الذي يعتمد على الذوق السليم، ومن شواهد الاثر الفلسفي في هذه المدرسة الاقلال من الامثلة الادبية، فكانوا يذكرون لكل قاعدة مثالاً أو شاهداً واحداً، وشاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولة الاسلامية، وكانت خوارزم أكبر البيئات التي ظهر فيها أقطاب هذه المدرسة. وأهم أعلامها ومصادرها:

١ـ دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ).

٢ـ نهاية الايجاز في دراية الاعجاز لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ).

٣ـ مفتاح العلوم للسكاكي (ت٦٢٦هـ).

٤ـ الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ). وغيرها.

٢. المدرسة الادبية:

كان القرآن الكريم من أهم العوامل التي طبعت بحوث البلاغة بطابع أدبي يعتمد على الذوق الرفيع قبل اعتماده على التحديد والتقسيم، وكان للكتّاب والشعراء أثر واضح في البلاغة لما امتازوا به من أدب غزير وذوق سليم، وكانت نتيجة تلك العوامل أن اتجهت البلاغة منذ عهد مبكر اتجاهاً ادبياً، وسلكت طريقاً بعيداً عن المدرسة الكلامية.

ومن أهم خصائصها التي تميزها من المدرسة الاخرى:

١ـ انها لم تهتم كثيراً بالتحديد والتقسيم.

٢ـ الالتزام بالتصحيح التام للأصول المنطقية.

٣ـ لم تهتم باقتباس المنطقيات ومسائل الفلسفة، بل تركتها وحملت عليها وحاربتها.

٤ـ استعمال المقاييس الفنية في الحكم على الادب، ولذلك نجدها مرة تستطيع التعليل ومرة لا تستطيع ذلك، وترجعه الى الذوق والاحساس الفني.

٥ـ ومن ذلك أن اسلوب كتبها سهل لا يحتاج الى عناء كبير في فهمه كما يحتاج في قراءة كتب المدرسة الاخرى.

٦ـ الإسراف في ذكر الشواهد والامثلة الكثيرة، فكانوا يذكرون القاعدة أو التعريف، ثم يأتون بالأمثلة الكثيرة، ولم تكن مقصورة على الجملة أو بيت الشعر، وإنما تعدتها الى القطعة الشعرية والرسالة الادبية، كما في كتاب (البديع) لابن المعتز مثلاً يذكر تعريف الاستعارة أو التجنيس ويورد بعد ذلك

أمثلة كثيرة ويفرق بين الحسن والرديء، وتبعه البلاغيون الاخرون في هذا المنهج كما في، (الصناعتين) لأبي هلال العسكري، و(العمدة) لابن رشيق، و(المثل السائر) لابن الاثير.

وقد سادت هذه المدرسة في المناطق الوسطى من العالم الاسلامي، كالعراق والشام ومصر وشمالي إفريقيا. وأهم أعلامها ومصادرها:

١ـ (البديع) لابن المعتز (ت٢٩٦هـ).

٢ـ (الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)

٣ ـ (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ).

٤ـ (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ).

٥ـ (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١ أو ٤٧٤هـ).

٦ـ (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لضياء الدين ابن الاثير (ت٦٣٧هـ).

الجمع بين المدرستين الكلامية والادبية

وبعد هذا، هل يمكن أن نضع فاصلاً بين المنهجين؟ والجواب: ليس من الممكن ذلك؛ لأن البلاغي كثيراً ما يوفق بين الطريقتين، ويفيد من الاتجاهين. فالجاحظ مثلاً رأس المدرسة الاعتزالية، نراه يميل في بعض الاحيان الى الفن ويحكم الذوق فيه، وفي الطرف الاخر نرى أبا هلال العسكري صاحب الذوق والجمال، يميل الى تقسيماته وتبويبه، وكان عبد القاهر الجرجاني يميل الى المدرسة الكلامية في كتابه (دلائل الاعجاز)، فيكرر الاساليب المنطقية، مثل (إن قلتم قلنا..)، و(كيف لا يكون الامر كذلك..)، في حين كتابه (أسرار البلاغة) يظهر بأسلوب المدرسة الادبية. وممن جمعوا بين المدرستين في كتاب واحد، يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ) في كتابه (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الاعجاز).

علوم البلاغة بين القديم والحديث

كان لعلم البلاغة فضلٌ كبير في بيان أساليب العرب، وتَراكيب لغتهم، وما تَمتاز به من قوَّةٍ وجمال؛ في اللفظ والمعنى، والعاطفة والخَيال؛ ممَّا أعان كثيرًا على فَهْم تُراثنا، وتقدير لُغتنا، وبَيان إعجاز كتابنا الكريم، بل إنَّ دراسة الإعجاز وإدراكه كان الهدف الأسمى الذي من أجْله وُضِعَ علم البلاغة؛ يقول ابن خلدون: **"واعلم أنَّ ثمرة هذا الفن، إنما هي فَهْم الإعجاز من القرآن"**.

ومع بزوغ فجر النهضة الحديثة والمعاصرة عاد العرب الى تراثهم البلاغي، ورأى كثير من أهل البلاغة المحدثين أن البلاغة قد شاع فيها العقم، وان أبرز أسبابه، السير على خطى القزويني، ومن جاءوا بعده من علماء البلاغة الذين صاغوا البلاغة العربية وصايا وتعاليم وقواعد وابتعدوا عن أصالة مؤسسها عبد القاهر الجرجاني. وجرت محاولات لتجديد الدراسات البلاغية، ومن أشهر الذين عنوا بذلك امين الخولي الذي أطلق على البلاغة (فن القول)، وسماه غيره (فن الكتابة) أو (فن التأليف الادبي) أو (فن الانشاء) أو (علم الاساليب) أو (فن الانواع الأدبية)، وحجتهم أن مصطلح البلاغة قد رثّ من كثرة ما تداوله الاجيال.

اهتمت البلاغة العربية القديمة باللفظ المفرد وبالجملة، وتمحورت حول التركيب الجُملي، ولم تتخط ذلك الى العمل الادبي برمته، حتى النقد ظل جزئياً، ولم يبلغ مرحلة تقويم النصوص، كأعمال أدبية متكاملة، بوصفها أنواعا أدبية ذات خصائص مميزة، إلا في الدراسات الحديثة، ولعل وقف البلاغة العربية القديمة على الجملة وما ألحق علومها من تصنيفات وتعقيدات حولتها عن عالمها الابداعي الجمالي الرحب الى مناحي الجمود والتنظير؛ هي التي أدت الى محاولات التجديد من جهة، ومحاولات إيجاد البديل من جهة أخرى.

وتعد الدراسات الاسلوبية، والبلاغية الحديثة، في وجه أو أكثر من وجوهها، محاولة تصب في منحى التجديد والتعويض والتبديل؛ إذ إن الاسلوبية أو علم الاسلوب، علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الاعتيادي أو الادبي خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميزه من غيره، إنها تتعدى الظاهرة الاسلوبية، بالمنهجية العلمية، ويعد الاسلوب ظاهرة -في الأساس- لغوية تدرسها في نصوصها.

فالدراسات الأسلوبية الحديثة تحتضن البلاغة وتثري بها وتقطف من يانع جناها ما يوسع آفاقها، ويمدّها بمعين لا ينضب، فالمنهجية العلمية التي سمحت بازدهار الاسلوبية، كعلم للأسلوب لا تتنافى مع اصطناع الذوق، وحدوسه النقدية والبلاغية، وقد دللت التجربة الفعلية لتطور البحث الاسلوبي على أن الاسلوبية لا تتعارض مع النقد الادبي، والبلاغة؛ بخلاف أن بهما قوامهما، تتسع لتحليلاتهما، بشتى المستويات التي لها، كما تتسع، للتنظير الادبي، وجماليته، مما يمكن أن يفيد في تطور النقد والبلاغة.

أقسام علوم البلاغة

قسّم الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) البلاغة في كتابه (الايضاح في علوم البلاغة) على ثلاثة أقسام، فكان ما يحترز به عن الخطأ: (علم المعاني)، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي (علم البيان)، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته (علم البديع). فالبلاغة عنده:

١ـ علم المعاني ٢ـ علم البيان ٣ـ علم البديع

١ـ علم المعاني:

وهومن المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من: تقديم وتأخير، أو ذكر وحذف، أو تعريف وتنكير، أو قصر، أو فصل ووصل، أو ايجاز وإطناب ومساواة.

٢ـ علم البيان:

البيان لغة: هو الكشف والايضاح والظهور، يقال: فلان أبين من فلان، أي أوضح، قال تعالى: (خلق الانسان* علّمهُ البيان). وعن ابن عباس عن النبي (ص): (إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكماً). قال البيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهومن الفهم، وذكاء القلب.

واصطلاحاً: هو علم يعرف به إبراز المعنى الواحد في صور أو أساليب مختلفة وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة مع مطابقة كل منها مقتضى الحال. وأهم مباحثها: التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية.

٣ـ علم البديع:

البديع لغة: هو الجديد تقول: أبدع الشيء يبدعه، فهو مبدع، ومنه قوله تعالى: (بديع السموات والارض)، وأبدع الشيء وابتدعه، اخترعه، ويقال: أبدع الشاعر أتى بالبديع المخترع، المبتكر.

والبديع اصطلاحاً: هو علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام جمالاً والمنطق حسناً في اللفظ والمعنى، واهم مباحثها: المحسنات اللفظية، والمحسنات المعنوية.

ومن مباحث المحسنات اللفظية: الجناس، والسجع، والاقتباس، والتضمين، وحسن الابتداء، وحسن الانتهاء، وحسن التخلص.

ومن مباحث المحسنات المعنوية: التورية، والطباق، والمقابلة، وحسن التعليل، والمشاكلة، وتأكيد المدح بما يشبه الذم.

وأول من وضع قواعد علم البديع ودوّن أصوله (عبد الله بن المعتز العباسي ت٢٧٤هـ) وألّف كتاباً سماه (البديع) ذكر فيه سبعة عشر نوعاً من المحاسن.

المصادر

١ـ البلاغة والتطبيق ـ أحمد مطلوب.

٢ـ البلاغة الاصطلاحية ــ عبد العزيز قلقيلة.

٣ـ علم أساليب البيان ــ غازي يموت.